**المحاضرة الخامسة:**

**قضايا النقد عند الفلاسفة:**

مهدت عوامل حضارية كثيرة أولها التوسع الجغرافي للمسلمين، واختلاطهم بباقي الأجناس والأمم لأن يتأثر الـعرب بمن سبقهم من فلاسفة اليونان، وفي مقدمتهم أرسطـو وأفلاطون، حيث يبدو هـذا الـتأثـر واضـحـا خاصـة عـلى الفلاسفة المسلمين أمـثال الـفارابـي وابـن سـينـا وابن رشد .

**قضايا النقد عند الفلاسفة المسلمين:**

عالج الفلاسفة المسلمون قضايا كثيرة متعلقة بالشعر وبالخطابة ومنها: ماهية الشعر، وقضية المحاكاة والتخييل، وأوزان الشعر وأغراضه، والصدق والكذب، والمجاز وغيرها، وفيما يلي نماذج عن أبرزها من خلال أعلام النقد الفلسفي:

**أولا: الفارابي** أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ، من أكبر فلاسفة المسلمين، ولد عام (260 للهجرة)، انتقل إلى مدينة بغداد وقد ألّف أكثر كتبه فيها، ثم مصر والشّام. توفي في دمشق في عام (339 للهجرة). درس الفلسفة والآداب والطب، وأتقن من اللغات: التّركيّة والفارسيّة واليونانيّة. كان تلميذ يوحنّا بن حيلان في الطب، وأبي بشر متّى بن يونس في الفلسفة والمنطق، وأبي بكر بن السّراج في علم النّحو والمنطق.

تميّز الفارابي بشكلٍ خاصٍّ في شرح مؤلفات الفيلسوف أرسطو حتى أُطلق عليه لقب (المعلّم الثّاني)، كما وضع العديد من المؤلفات في مختلف المجالات منها: شرح العبارة لأرسطو، شرح كتاب المقولات لأرسطو، الألفاظ المستعملة في المنطق، شرائط اليقين، كتاب الشّعر، كتاب الخطابة، رسالة في قوانين صناعة الشّعر، إحصاء العلوم، كتاب الحروف.تأثر الـفارابـي بالثقافة الـيونانيـة وبـأرسطـو واضح، يدل عليه ما ذكره حول مفهوم الشعر وقضاياه، فقد ترك بصمة واضحة فيما يخص تعامله مع الترجمات العربية التي سبقته لفن الشعر الأرسطي، وأول ما يلحظه قارؤه، هو ابتعاده عن ( متى بن يونس) فــي تـسميتـه لـلتراجيديـا والـكومـيديـا بـالمدح والـهجاء ، لأنه سمـاها (طراغوذيا ) و(قوموذيا)، واعتماده على مـقـولات أرسطـو فـي حديثه عن الشعر مسـتبدلا مصطلح (الشعر) بـ (الأقاويل الشعرية)، وهي: ''التي من شأنها أن تؤلف منها أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول وتعتمد على الكذب لأنها تهدف إلى محاكاة الشيء على غير ما هو عليه في الواقع بل على ما يريد الشاعر''.

صنف المحاكاة إلى نوعين: فــ'' قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان بيده شيئا ما، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك. والمحاكاة بقول: هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء''.

جعل الفارابي الفنون كلها تلتقي حول مبدأ المحاكاة ، وتختلف مع بعـضها فـي وسـائـل وأدوات هـذه المحـاكـاة ، وهي ليست استنساخا للواقع ، أو نقلا لمعطياته ، إنما هي خلق وتخييل وتشكـيل لأن غرض المبدع هو : "أن يوقع في ذهن السامعين والمتلقين المحاكي للشيء بدلا من الشيء نفسه". وهي فعالية مشتركة بين كل الفنون الممكنة كما يتضح من قوله: ''فإن محاكاة الأمور قد تكون بفعل. وقد تكون بقول، فالذي بفعل ضربان: أحدهما أن يحاكي الإنسان  بيده شيئا ما ، مثل ما يعمل تمثالا لا يحاكي به إنسانا بعينه، أو شيئا غير ذلك، أو يفعل فعلا يحاكي به إنسانا ما أو غير ذلك. والمحاكاة بقوله : هو أن يؤلف القول الذي يصنعه أو يخاطب به من أمور تحاكي الشيء الذي فيه القول، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء''.

فالفنون كلها تلتقي حول مبدأ  المحاكاة، وتختلف بعد ذلك في وسائلها وأدواتها.

**ثانيا: ابن سينا** أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا. ولد عام (370ه). تلقى تعليمه الأول على يد أبيه. حفظ القرآن والشعر، ومال لتعلم المنطق وعلوم الطب والشريعة. توفي سنة ([427هـ](https://ar.wikipedia.org/wiki/427_%D9%87%D9%80)). لُقِّب بالشيخ الرئيس وبالمعلم الثالث.

وصف الشعر بأنه كلام مُخَيّـِل ، فهو ''كلام مخيل مؤلف مـن أقوال موزونة متساوية عند العرب مقفاة ومعنى كونها موزونة أن يكون لها إيـقاع ومعنى كونها متساوية هو أن يكون كل قول منها مؤلفا من أقوال إيقاعية ومعنى كونـهـا مقـفاة هو أن يكون الحرف الذي يختم به كل قول منها واحدا وإنما ينظر المنطقي في الشعر من حيث هو مخيل''.  
كما ركــز عـلى الـتخيـيل ودوره فـي المتلـقي، وفي ذلك قال: ''والمخيِّل هـو الكـلام الذي تذعن له النفس فتنبسط عـن أمـور، وتنـقبـض عـن أمور من غير روية وفـكر واختـيار، وبالجملة تنفعل له انفعالاً نفسانياً غير فكري، سواء كان المقول مصدَّقــاً به أو غير مصدق. فإن كونه مصدقاً به غير كونه مخيـلاً أو غـير مخـيل: فإنـه قـد يصـدق بقول مــن الأقـوال ولا ينفعل عنه، فإن قيل مرة أخرى وعلى هيئة أخرى انفعلت النفس عنه طاعة للتخييل لا للتـصديق فكثيراً مــا يؤثر الانفــصال ولا يحـدث تصديقاً وربما كان المتيقن كذبه مخيلاً''.

وعـن طـريـق الـتخييل استطـاع ابن سينا التفريق بين الشعر وغيره من الـفنـون كـالنثر والخطابة قائلا: ''الشعر يستعـمل التخييل والخطابة تستعمل التصديق''.

وأما وسيلته فهي المحاكاة، وهي: ''إيراد مثل الشيء، وليس هو هو، فذلك كما يحاكى الحيوان الطبيعي بصورة ، هي في الظاهر كالطبيعي''.  وذلك أكثر تأثيرا في النفس، ''وإذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النفس وهو صادق ، بل ذلك أوجب - من الناحية المنطقية - ولكن الناس أطوع للتخييل منهم للتصديق ، وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكره وهرب منها . وللمحاكاة شيء من التعجيب ليس للصدق، لأن الصدق  المشهور كالمفروغ منه ، ولا طراوة له ، والصدق المجهول غير ملتفت إليه . والقول الصادق إذا حرف عن العادة ، وألحق به شيء تستأنس به النفس، فربما أفاد التصديق والتخييل معا، شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به، والتخييل إذعان ، والتصديق إذعان، لكن التخييل إذعان للتعجب والالتذاذ بنفس القول، والتصديق إذعان لقبول أن الشيء على ما قيل فيه، التخييل يفعله القول لما هو عليه، والتصديق يفعله القول بما المقول فيه عليه، أي يلتفت فيه إلى جانب حال القول فيه''.

وتجـدر الإشـارة هـنا إلـى قضية هامة جدا وهى أن ابن سينا علم الفرق بين الشعر العربي والشعر اليوناني وطبيعـة كـلا منهـما، قـال فـي طبيعة الشعر اليوناني : ''الشعر اليوناني إنما كان يقصد فيه في أكثر الأمر محاكاة الأفعال و الأحوال لا غير'' بينما العرب كانت ''تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحـو فعل وانـفعال و الـثاني للعجب فقط فكانت تشبه كل شيء للتعجب بحسن الـتشبيـه وأمـا الـيونانيون فـكانوا يـقصدون أن يحثوا بالقول على فعل أو يردعوا بالقـول عــن فعـل وتـارة كـانوا يفعلون ذلك عـلى سبيل الخطابة وتارة على سبيل الشعـر فـلذلـك كانت المحاكاة الشعرية عندهم مقصورة على الأقاويل و الأحوال والذوات من حيث لها تلك الأفاعيل و الأحوال''.

لذلك لم يتورط في تطبيق فن اـلشعر على الشعر العربي، ''إذ أكثر ما فيه اقتصاص أشعار ورسوم كانت خاصة بهم ومتعارفة بينهم يغلبهم تعارفهم إياها عن شرحها وبسطها''.  
يقول ابن سينا في نهاية تلخيصه وترجمته لكتاب فن الشعر: ''هذا هو تلخيص القدر الذي وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول وقد بـقى منـه شطـر صـالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر بحسب عادة هذا الزمان كلاما شديد التحصيل و التفصيل''.

**ابن رشد** أبو الوليد محمد: ولد (520ه أو 526ه)، وتوفّي بمراكش سنة (595ه). يعدّ أشهر فيلسوف اقترن اسمه بأرسطو، ذلك أنه خصّص قسطا من حياته لدراسة وشرح فلسفته. ومن أعماله كتاب (تلخيص الخطابة)، وهو من (التلخيصات) أو (الشروح الوسطى) كما تسمّى في اللغات الأوربية الحديثة، وهو عرض وشرح بالترتيب لكتاب أرسطو (الخطابة)، يبتدئ الكلام بقول لأرسطو ثم يتبعه بشرح موسّع له، بحيث يستحيل الفصل بعده بين كلام كلّ منهما، وتلخيص لكتاب (فن الشعر).

يعـد ابن رشد واحدا من الفلاسفة الذين ترجموا كتاب (فن الشعر)، ويعـتبر أيـضا الـوحـيـد الـذي اختـلفـت تـرجـمتـه عـن بـاقي الترجمات والشـروح، فـقد لـوحظ عـليه سـوء الـفهـم لـلمصطـلحات الواردة في الـكتاب، ورأى البعض أنه أخطأ في ترجمته، وذلك يرجع إلى أنه استبدل أمـثلة أرسطو بأخرى عـربية مـن شعـر وآيات قرآنية.  
ربط ابـن رشـد الـمحاكاة بالتشـبيه وقرنها بالتخيـيل، كما يتضح من قوله: ''ويجب على الشاعر أن يلزم في تخييلاته ومحاكاته الأشياء التي جرت العادة في استعمالها في التشبيه، وألا يتعدى ذلك طريقة الشعر''.

وتكون مـن قبل ثلاثة أشياء الوزن، والـلحن، والكلام ، والتخييل. قال ابن رشد: ''المـحاكـاة في الأقاويـل الشعـرية تكون مـن قبل ثلاثة أشياء: من قبل النغم المتفقة، ومن قبل الوزن، ومن قبل التشبيـه نفسه وقد تجتمع هذه الثلاثـة مـع بعضها وهذا الذي يوجد في الموشحـات والأزجـال وقد توجد كل واحد منها مفردا مثل وجود النغم في المزامير، والوزن في الرقص، والمحاكاة في اللفظ''.

كما أوضح العلاقة بين التخييلات والمعاني والأوزان بقوله: ''من التخييلات والمعاني ما يناسب الأوزان الطويلة، ومنها ما يناسب القصيرة، وربما كان الوزن مناسبا للمعنى غير مناسب للتخييل، وربما كان الأمر بالعكس، وربما كان غير مناسب لكليهما''.

لقد بحث ابن رشد على غرار الفلاسفة المسلمين حد الشعر والعلاقة بين الوزن والمعنى وبينه وبين المحاكاة، ومفهوم التخييل وعلاقته بالتشبيه، ومع ذلك فإنه أكثر اختلافا عن سابقيه من حيث فهمه وتعامله مع تراث أرسطو في الشعر.

**خلاصة وتقييم:**

أمدت الفلسفة النقاد المتأثرين بها بطرائق في التحليل والتعليل، وميزت لغتهم النقدية. وقد برز في النقد الفلسفي أعلاما ساهموا بالارتقاء من النقد من مجرد التأثرية المطلقة إلى التعليل المنطقي.

**مراجع للتوسع:**

1-أرسطوطاليس، في الشعر مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابي وابن سينا وابن رشد، ترجمه وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمان بدوي.

2-محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب، نهضة مصر، القاهرة، مصر، مارس 2005.

3-إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011.

4-عباس ارحيلة: الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.